العدد 3477 - السنة الثانية عشرة
الأربعاء 26 محرم 1441 - الموافق 25 سبتمبر 2019
Wednesday 25 September 2019 - No.3477 - 12 th Year

الشائعات.. بين سيكوباثية مطلقها وسذاجة الجمهور

- الشائعات تنتشر بطريقة عفوية ساذجة دون قصد وربما كان وراءها قصد
- الانتماء للوطن تذوب به جميع الفروق بين مكونات الشعب الواحد
- أغلبنا نقع ضحايا للشائعات لأننا صدقنا الخبر أو المخبر
- من أسباب تصديق الإشاعة عدم وضوح المعلومة من مصدرها الذي يفترض أن أثق به
- مطلق الشائعة يمتلك مهارة عالية في صياغة الوقائع بشكل مماثل لما يمكن أن تقبله عقول المتلقين

إعداد : د. مهند عبدالمحسن العيدان
اختصاصي العلاج النفسي الإكلينيكي

- الشخص السيكوباثي تعتريه حالة نشوة المنتصر كلما رأى شائعته تنتشر أكثر بين الناس
- عندما تبدأ الأوهام بالحركة في عقولنا نعرف عندها أننا استسلمنا للخرافة وتركنا كل الحقيقة في الخلف

تؤدي الشائعات دوراً مهماً في تحريك الشعوب وتحديد اتجاهاتهم النفسية والسلوكية، وتتدخل في قدرتهم على اتخاذ قرار عقلاني يتجه لخدمة المصلحة الفردية والوطنية، وربما تتفق أن الشائعات علم تقوم به أجهزة الاستخبارات تهدف إلى التأثير على دولة العدو خصوصاً في الحرب الباردة التي يلعب بها الإعلام دور البطولة بالتأثير على قناعة أفراد الشعب الآخر بضرورة المقاومة أم تفضيل الاستسلام، وموقفهم تجاه حكومتهم ونظامهم السياسي هل يقفون معه أم يتحازون ضده ؟!، أو على الأقل اتخاذ موقف الحياد الذي يبعدهم عن دورهم الدفاعي عن كينونة وطنهم ومساره. وهذا نوع من الحروب أياً كان وصفها ودورها والهدف من ورائها، فلقادة الحروب مبرراتهم التي ربما لا يقتنع بها الآخرون فكل ينطلق من موقعه في الإدراك ومشاهدة الصورة الكلية للحدث وأبعاده ومآلاته، ولذلك يفضل بعض القادة الضربة الاستباقية ويفضل الآخرون اللجوء للمفاوضات واتخاذ أسلوب الحكمة والتوصل للحل الوسط الذي ينهي الحرب أو يؤخرها سنوات ينعم بها كلا البلدين في سكينة، وبعدها قد تتغير الظروف وربما غير من كان يرغب بالحرب رأيه وتنازل عنه، وتحرك الكثير من النزعات السياسية طبيعية الشخصية أو الأسلوب الذي يفكر به القادة في الموقف الراهن.

وقد تنتشر الشائعات بطريقة عفوية ساذجة دون قصد، وربما كان وراءها مقصد إيجابي، وربما تحرك طابور خامس داخل البلد، وهذه الأخيرة أخطر تلك الشائعات وأسواها.

الانتماء للوطن والشعور بالأمان

ولعل من الوهلة الأولى نميل لأخذ اتجاه الوقوف مع الوطن ضد رأي الآخر، وهذا الموقف الطبيعي الذي يحتمه تكويننا النفسي، لأن شعورنا بالانتماء والحاجة إليه يشعرنا بالقوة أكثر ويدفعنا لحماية أنفسنا أكثر من خلال حماية الآخر، فأنا الآخر لكل شخص وهو الآخر لي الذي أحميه حماية لنفسي من الخطر.

كما أن الانتماء يخلق لنا هوية ممتدة تختلف عن هويتنا الفردية التي ننتمي لها بالجينات التي انتقلت لنا خلال الولادة من الأبوين، فالانتماء للعائلة انتماء ثم انتماء للمدرسة وللفريق الرياضي وجماعة الأصدقاء والمهنة التي ننتمي لها، ولعل الانتماء للوطن هو الانتماء الذي تذوب به جميع الفروقات بين مكونات الشعب الواحد؛ فبينما لكل واحد اسم عائلة ومدرسة يتذكر طفولته بها ونادي يشجعه وربما لعب به فالكل يجتمع في الوطن الذي يلغي جميع الفروقات والتشتتات الصغرى التي نتعايش بها جميعاً يومياً.

لماذا تنتشر الشائعات؟!

لا يرضى أحد أن يصدق شائعة تنتشر بين الناس وتصل إليه إلا أدرك أنها شائعة، ولكننا غالباً نقع ضحايا للشائعات لأننا صدقنا الخبر أو المخبر، أو ربما يميل بعضنا للتصديق احتياطاً من الوقوع في المشكلة!

وباختلاف طبائعنا الشخصية تختلف طريقة استجابتنا لأي خبر يصل إلينا، فهناك من يتعامل مع جميع الأخبار بمبدأ الشك المبالغ فيه حتى يرفض جميع الأخبار، ويعتقد أن جميع الأخبار تحركها مؤامرة كبرى تحركها قوى سرية في العالم، وهناك من يمتلك نفس نمط الشخصية الشكاكة لكنه يتشكك بمصادر الأخبار إن لم يكن مصدرها موثوق بالنسبة له، ونجد في المقابل من تحركه الأخبار التي تتسم بنمط من الغرابة في الموضوع أو الأسلوب الذي قيلت فيه، وهناك شخصية تضع معياراً سطحياً ساذجاً لتصديق الخبر؛ فأي خبر انتشر بين الناس، وتردد في مواقع الأخبار فذاك معيار الصحة لديه، وبالتالي يرد على من يطلب دليلاً على صحة الخبر: ألا ترى جميع القنوات نقلته؟!

ومن أسباب تصديق الإشاعة عدم وضوح المعلومة من مصدرها الذي يفترض أن أثق به، أو ربما تعرضت المصادر المحلية لنوع من تكرار التشويه سواء من المعارضة أو الخونة، ولو كانت الحجة ضعيفة فتكرارها يعطيها قوة ويصدقها البعض فقط لأنها تكررت، وينطلق من قاعدة ما تكرر تقرر.

وربما صدق البعض خبراً فقط لأنه رأى رمزاً يثق به مال لرأي ما يصدقه دون دليل على قوله ورأيه، وهذا الأسلوب نجده مخلداً في قول الشاعر الجاهلي:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم
في النائبات على ما قال برهانا

ويعد الشاعر قريط هذا الفعل من أقاربه نوعاً من الشهامة، فهم يثقون بما يقول دون برهان ولا بينة، وأنظر من حولك الآن وتأمل عدد الذين صدقوا شائعة فقط لأن مشهوراً قالها، أو معارضاً سياسياً أو هارباً من القانون.

شخصية مطلق الإشاعة

من يطلق الشائعة شخص مثلنا ويعيش بيننا إلا أنه يمتلك مهارة عالية من صياغة الوقائع بشكل مماثل لما يمكن أن تقبله عقول المتلقين الساعين، ولذلك فهو يمتلك شخصية تعرف التلاعب والمخادعة، يمكننا تسميته في علم النفس بالشخصية السيكوباثية، أحد متعه في الحياة هي التأثير في الآخرين وفق مزاجه ولو لم يزده ذلك أي مكسب شخصي، فشعوره سيزداد بالرضا والسعادة وتعتريه حالة نشوة المنتصر إن رأى شائعته تنتشر بين الناس، وربما استطاع حشد الناس نحوها، وكلما صدقها ضحاياه وضجت استهم بتناقلها بينهم ازداد شعوره بالفرح والفخر، وزاد إحساسه بالقوة والسيطرة على الآخرين.

هذا الشخص ينقصه الشعور بالأمان والحاجة للتقدير الذات ويستجدي الاحترام من الآخرين، ويريد أن يكون شيئاً مذكوراً بين الناس، ولذا يتخفى وراء هذا السلوك وهذه الشخصية، وهو على استعداد أن يبقى متخفياً بالرغم من شعوره برغبة ملحة أن يعلم الناس ذكاءه وفطنته وأن هو الذي نشر هذه الشائعات لكنه يكتم هذه الرغبة للحصول على لذة الانتصار على الذين صدقوه ونشروا ما قاله بينهم.

من الصورة إلى الحكاية

كثيراً ما تنشر صورة في مواقع التواصل الاجتماعي وتحاك حولها حكاية، وهذه الصورة لا نعرف الأشخاص الذين فيها، ولا أين التقطت ولا الظروف التي صورت فيها ولا ندري هل كانت صورة متفق فيها على تفاصيلها وأراد من فيها تصوير مشهد يعبر عن شيء أم أنه مشهد عفوي عابر لبنته عدسة الكاميرا.. هناك العديد من التساؤلات التي تنشر وينشر التعليق تحتها بحكاية طويلة غالباً ما تتسم بالتضحية والمعاناة، وبعضها ترصد لحظات الغدر والخيانة لاثنين كانا على علاقة ببعضهما.

هذه الحكايات لا ينبغي أن تشكل جزءاً من حياتنا نحن الأحياء الحقيقيون، فتلك الصورة الجامدة لا يمكنها فعل شيء يحرك مشاعرنا إلا أن سمحنا لها نحن بذلك! فعندما تبدأ الأوهام بالحركة في عقولنا نعرف عندها أننا سلمنا عقولنا للخرافة، وتركنا كل الحقيقة في الخلف، وكأننا لا نمتلك أدنى قدرة على التفكير الناقد لتفنيد الوقائع وتمييز الحقائق من غيرها.

التعامل مع الشائعات

ولا يمكننا في الحقيقة التحكم في الشائعات إلا أن تعلمنا منهجية الشك المنهجي التي توصلنا للمعرفة المبنية على الدليل والبرهان العلمي الذي لا تستطيع الشائعة التفلت من بين يديه، ولذلك لا يمكن للعاقل تقبل فكرة أننا اليوم في فصل الشتاء أو أنه لا يمكن وصول ماء البحر لدرجة الغليان تحت تأثير أشعة الشمس مهما بلغت لأنه يستطيع بسهولة نقد هذه الفكرة، بينما يستطيع أن يستقبل فكرة أن هناك علاجاً لمرض السرطان تخفيه شركات الأدوية! وذلك لأنه لم يجلس يوماً مع طبيب أورام يعلمه كيف ينشأ الورم، وبالتالي سيعرف صعوبة وجود دواء يقضي عليه تماماً، أو فكرة ساذجة تنتشر بين الناس أن هناك رجل بمجرد أن يتلو عليك بعض تعاويذه يرجع إليك البصر بعد أن عجزت عنه جميع المستشفيات عن علاج العمى.. وقس على ذلك جميع الأفكار التي تعتقد أنها من الممكن أن تقع لأنك تقول عنها «ممكن»، وكان كلمة «ممكن» دون دليل شيء ممكن!

الذي جعل الأفكار غير المقبولة عقلاً عندك هو اعتيادك منذ الصغر على أنها لا يمكن أن تقع، وأصبحت البرهنة العقلية على بطلانها وسذاجة قائلها قوية جداً لديك وكان من ينازعك فيها ينازعك في وجودك أنت، بينما أنت قد تضعف أمام فكرة يتم ترويجها بطريقة غوغائية قد يستسلم لها العقل عندما يشعر بالإجهاد وعدم الرغبة في المراقبة والنقد والبحث وإقامة البرهان على صحة شيء من عدمه، هنا تتسلل هذه الشائعات للذهن مع استعداد البعض أكثر من غيرهم للوقوع تحت طائلة الشائعات، وهؤلاء أصحاب الشخصية الهستيرية الأكثر قابلية للإغواء والوقوع تحت الإيحاء بعد أن قرروا الاستسلام لكل شيء جديد بوصفه حقيقة لا تحتاج لتعب النقد والتفكير والتمحيص.

وعلينا التنبه أكثر عندما يرتبط الأمر أكثر بالقرارات السياسية التي لا يعود الضرر فيها عليك أنت وحدك، وإنما يتعدى ليشمل بلداً، هنا يجب الحرص أو التوقف وعدم الدخول في دائرة التفاعل ما لم أكن متأكداً، وخصوصاً في فترات الأزمات السياسية التي تستغل فيها الدول المعادية لنا هؤلاء الذي يستجيبون وينشرون ويتفاعلون مع كل خبر، والمؤسف أنهم يستهدفون من يقفونهم أكثر قابلية للتجاوب والاستجابة للمعلومات التي تروجها وسائلهم الإعلامية [المسئول الأول عن نشر الشائعات] وبعدها يقومون هم بحمل الرسالة ونقلها لمن بعدهم وهكذا تتسع الدائرة ويزداد خطر التأثر بما يقال وينشر دون التأكد من مصادر الخبر الرسمية.

ولعلك وأنت تقرأ الآن تعيد آلة الزمن للوراء في ذاكرتك لتتذكر لكم الشائعات التي صدقتها ولم تقع، فلعها تعطيك قوة للتشكيك فيما تسمع حتى ينجح في الاختبار، وبالتالي تتخذ قراراً بعدم مسايرة كل شيء حتى تنجو وتجعل لعقلك سلطاناً على حياة الكذبة من حولك، وتعرفون الحق والحق يحرركم.

الشائعات بعيداً عن السياسة

لا يقتصر عمل الشائعات فقط في الأمور السياسية، وإنما يتطرق للكثير من الأشياء التي نراها تنتشر بيننا في وسائل التواصل الاجتماعي فنجد شائعات تحذرنا عن خطورة استخدام بعض الأدوية، وتذكر القصة في سياق إسم عالم أو طبيب غير معروف ويمنح منصباً علمياً في مكان غير معروف للناس وربما يكون وهماً غير موجود لا الشخص ولا المكان، ولكن نجد رسالة مثل هذه تنتشر بين الناس بسرعة شديدة دون بذل أدنى مجهود للتأكد من صحة الخبر والكلام الذي نقل إلينا، والعجيب أنه بالرغم من انكشاف الكذبة بين الناس، ووضوح الخلل المرتبط بها إلا أنك تجد هناك من يرجع بعد فترة ليعيد نفخ الروح في نفس الشائعة من جديد وتنتشر بثوب جديد ويصدقها البعض مراراً وتكراراً، أو تجد البعض حتى بعد نفي الشائعات يقرر تصديق الخبر المكذب مجهول المصدر ورفض الخبر الذي صرحت به جهة علمية معتبرة دولياً ومحلياً، وهنا تعود نفس الإشكالية السابقة في أسباب تصديق الناس للشائعة.

ولعلنا نتذكر جميعاً عندما انتشرت جرائم قتل صادف أن مرتكبيها من نفس الجنسية فانتشرت شائعة أن هذه الجنسية تنتمي لدين وثني يتقربون لآلهتهم بقتل نوع محدد من الضحايا، ولأن مصدر الإشاعة ومبتكرها شخص ذكي قادر على التلاعب بعقول الآخرين صاغ الخبر بصورة توحي بصدق الفكرة، فكان مما قاله كاذباً للترويج شائعته بين الناس أن مصدر معلوماته سفير تلك الدولة صرح منبها الأهالي في الكويت لأخذ الحيطة والحذر والتأكد من ديانة العاملة التي في بيته ليعرف هل هي من تلك الديانة التي قد تقتل أحد أفراد أسرته أم لا؟

وهكذا الأخبار التي تنتشر بين الناس بتناقل خبر وفاة أحد المشاهير من السياسيين أو الفنانين والرياضيين وبعدها بدقائق تجري القنوات اتصالا هاتفيا بذلك المشهور أو بأحد ذويه للتأكد من بقائه على الدنيا أم لا!

ولأن أدوار الممثلين قد يعتريها مشاهد للوفاة أو حوادث السيارات أو التمثيل في غرف العناية المركزة في المستشفيات فقد نجد أن مبرر تصديق الخبر يكون أسرع وأسهل بين الناس، وقد تكون الصورة مأخوذة من فيلم أو مسلسل لم ينشر بعد.

الصندوق الأسود..

في هذه الزاوية نستقبل استشارات القراء ونرد عليها في الأسبوع الذي يليه، مع مراعاة أن تبقى جميع المعلومات في حدود السرية احتراماً لخصوصية القراء، يمكنك ارسالها على بريد الكتروني: binedan@live.com

ويجيب عليها د. مهند العيدان اختصاصي العلاج النفسي الإكلينيكي أو أحد زملاؤه، وسيذكر اسم المستشار الذي أجاب السؤال.